

مدخل عام:

إن أهم ما يميز الوجود البشري هو أهمية النشاط العقلي الذي يفضي إلى إنتاج أفكار. وهذه الأهمية تفتحنا على المعرفة باعتبارها ضرورة رافقت الإنسان في تساؤله عن كينونته الفردية وعن الوجود. بغية فهم مختلف الإشكالات المطروحة بصدد الطبيعة والمجتمع. فالمعرفة في عمقها استيعاب الواقع لكن هذا الاستيعاب مشروط بتوفر شروط هي: الذات العارفة، موضوع المعرفة، مع امتلاك الأدوات المعرفية الكفيلة بذلك. وهذا ما يفسر الاهتمام العلمي بطبيعة المعرفة الحاصلة لدى الإنسان وكيفية بلوغها:

✓ النظرية والتجريب: فمعرفة الإنسان بالطبيعة التي تحققت بفضل البناء العقلي الرياضي والمعطيات التجريبية الخالصة جعلت المعرفة الإنسانية تتوجه. وتأخذ شكل بناء وقوانين ونظريات وصيغ وتفسيرات وتنبؤات تبين انتصار العقل البشري.

✓ الحقيقة: في ظل هذا البحث لمعرفة الإنسان بالطبيعة وبذاته، تبرز الحقيقة العلمية التي يسعى العلم إلى الوصول إليها. فكل النتائج المتوصل إليها في العلوم تبقى غير نهائية وقابلة للتصحيح والإغناء دائما، وهذا ما يؤدي إلى التفكير في مدى صلابة ونسبية الحقيقة العلمية، وفي مدى قابليتها للدحض وإلى التعرف على معاييرها والتفكير في حدودها وسياقاتها الاجتماعية.

يتضح من خلال كل ما سبق أننا في مجال المعرفة أمام مجموعة من الإشكالات هي:

- كيف يبني الإنسان معرفته بالواقع؟ وما دور كل من العقل والتجربة في بناء هذه المعرفة؟
- هل غاية المعرفة بالواقع وبالذات هي بلوغ الحقيقة؟ وما دلالات الحقيقة؟

المفهوم الأول: النظرية والتجربة:

مدخل:

إذا تأملنا العبارة المركبة من " النظرية والتجربة" فإنه يتبادر إلى ذهننا علاقات التوتّر والصراع بين مفهومين: الأول هو النظرية ويحيل إلى العقل، والثاني هو التجربة ويحيل إلى الواقع، كل مفهوم يوجد في مقابل الآخر ويريد أن يحكمه.

فالنظرية في استعمالها المتداولة تعني تجريد الواقع وتجاوزه، وتعني النظرية في التحديد الإصطلاحي التأمل العقلي، فتصبح هي نسق من المبادئ والقوانين التي تنظم معرفتنا بمجالات خاصة، ويتضمن هذا النسق بناء منطقياً له مكوناته ويخضع لنظام فرضي استنباطي يسمح للعالم بالانتقال من عنصر لآخر وفق تراتب صارم. مقابل هذا التحديد النظرية يمكن أن نتساءل ما التجربة؟

يشمل لفظ **التجربة** مجالات عديدة ومتنوعة، فالتجربة تدل على مجموع المعارف والخبرات التي يكونها الإنسان في علاقته المباشرة بالواقع، كما تعني اكتساب قدرة على الإتقان **savoir faire**، عندما يتعلق الأمر بخبرة فرد يزاول مهنة ما، وتعني التجربة في مجال المعرفة العلمية القيام بإعادة إحداث ظاهرة ما، تمت ملاحظتها في شروط محددة، بهدف دراستها والوصول إلى معرفة حولها، بحيث تشكل التجربة الوسيلة الأساسية التي يلجأ إليها العالم التجريبي لمعرفة القوانين المتحكمة في الظواهر.

تبين لنا التحديدات المفاهيمية السابقة كيف يتم تمثيل النظرية بجعلها تجريدا ذهنيا و مفاهيميا، ومن ثمة تتفوق على كل ما هو تجريبي وواقعي. كما يتم تمثيل التجربة بإعتبارها مجالا لحضور الملموس والواقعي، يبدو أن هذا الحوار بين النظرية والتجربة يخفي عنا إشكال التداخل الكبير بينهما ويدعونا إلى التساؤلات التالية:

- ما التجربة وما التجريب؟ ما العلاقة بينهما؟
- ما العقلانية العلمية؟ هل هي واحدة أم متعددة؟ بعبارة أخرى كيف يمكن التمييز بين العقلانية العلمية الكلاسيكية والعقلانية المعاصرة؟ وما هي أسس كل عقلانية علمية؟ وما الفرق بينهما؟
- ما المعيار الذي يجب إعماده لمعرفة صدق وصلاحيّة نظرية علمية ما؟ وهل يعتبر هذا المعيار واحد أم أنه يختلف باختلاف النظريات العلمية وبالمراحل التي قطعتها النظريات العلمية عبر سيرورتها التاريخية؟

المحور الأول: التجربة والتجريب:

تقديم:

يهدف هذا المحور إلى التمييز بين الدلالة العامية للفظ التجربة وما تحيل إليه في التمثيل العامي **expérience** في معناها العام تدل على مجموع المعارف والخبرات الحسية التي يكونها الإنسان في علاقته بالواقع، وهي عادة تكون نتاجا للممارسة العفوية وغير الواعية والمنظمة. أما التجربة في معناها العلمي **expérimentation** فهي ذات دلالة خاصة: " إنها إعادة إنشاء للظاهرة وصنعها بواسطة إجراءات مقصودة يبدعها العالم داخل المختبر وضمن شروط علمية خاصة.

إذا كانت التجربة خبرة حسية بسيطة، وكان التجريب إنشاء علميا منظما لظاهرة مادية علمية خاصة، فما دلالة التمييز بينها في مجال المعرفة العلمية؟ وما طبيعة التجربة العلمية؟ وضمن أي شروط ومواصفات يمكن الحديث عن منهج تجريبي له دور وظيفية بناء النظريات العلمية؟ وما علاقة الخيال والواقع بالنشاط العقلي؟

1. موقف ألكسندر كويري: Alexandre koyré

يميز كويري بين مفهومين هما التجربة والتجريب، فالتجربة ملاحظة علمية للطبيعة لا تلعب أي دور في تقدم العلم، بل كانت بمثابة عائق لكونها جزء من المعرفة ما قبل العلمية، ولخلوها من الشروط العلمية والموضوعية. في حين أن التجريب هو المساءلة المنهجية للطبيعة وهو يفترض مسبقا وجود جملة من الشروط المنهجية التي تجعله منهجا علميا منظما وهذه الشروط هي: 1- اللغة: التي يطرح بها العالم أسئلته. 2- وقاموس يتيح تأويل أجوبته.

إتخذ المنهج التجريبي صيغته المكتملة مع الفيلسوف الفرنسي كلود برنار، وأرسى أسسها النظرية والخطوات المنهجية الأربعة التقليدية للإستدلال التجريبي وهي على الشكل التالي:

أ. **الملاحظة: Observation :** وهي معاينة الظاهرة المدروسة ومراقبتها من أجل إنشائها علميا ويجب أن تكون مرتبطة علميا بالمجموعة المدروسة وموضوعية وبعيدة عن اعتقادات ورغبات الملاحظ إذ يكتفي الملاحظ بالإنصات إلى الطبيعة وتصويرها كما هي.

ب. **الفرضية hypothése:** فكرة مؤقتة يقترحها العالم من أجل تفسير مسبق للظاهرة المدروسة.

ج- التجربة: expérimentation:

سلسلة الإختبارات العلمية والممنهجة التي يتم فيها إختبار الفرضية التي إقترحها العالم لتفسير ظاهرة ما.

د-**القانون:** العلاقة الثابتة والمنتظمة بين ظاهرتين أو أكثر، ويشترط فيه أن يكون كليا، وقابلا للتعميم، والتكرار والإثبات. ولإبراز العلاقة بين هذه العناصر، يقول كلود برنار: " الحادث يوحي بالفكرة، والفكرة تقود إلى التجربة، والتجربة تختبر بدورها الفكرة "، وتبقى القيمة الفلسفية لهذه الفكرة هي أنها تعبر عن التصور الكلاسيكي للمنهج التجريبي بخطواته الأربعة التقليدية، وهو منهج كان له الدور الجوهري في تطور الفكر العلمي، غير أنه ظل سجين المبادئ الواقعية التقليدية وهي المبادئ الذي سيتم تجاوزها مع التصور المنفتح للتجريب الذي يطرحه روني طوم.

3. موقف روني طوم:

ينتقد روني طوم التصور الذي يعتقد بوجود منهج تجريبي علمي صارم كأساس للممارسة العلمية معتبرا ذلك مجرد وهم، إذ لا وجود في رأيه لمنهج تجريبي قائم الذات وإنما هناك ممارسة تجريبية ووقائع تجريبية غير أنها لا ترقى إلى مفهوم المنهج. ويرى روني طوم أن استخدام المنهج التجريبي وحده غير قادر على تحديد العلاقات السببية للظواهر، بل لا بد من الإنفتاح على " **عنصر الخيال** " وإدماجه في عملية التجريب. ذلك أن تطور العلوم اليوم يكشف عن عجز المنهج التجريبي المادي التقليدي وفقدانه لفعاليتها أمام الظواهر الجديدة التي بلغت حدا من التعقيد والدقة لا يمكن أن تستوعبها الشروط المادية للتجربة، من قبيل تلك الظواهر الميكروسكوبية المتناهية الصغر، (الإلكترونات، الفوتونات، الجزيئات الذرية..) أو مثل الظواهر الماكروسكوبية المتناهية الكبر (الظواهر الفلكية، الهندسة الفضائية، الزمن، الضوء...) وغير ذلك مما لا يمكن أن تتوفر له شروط فيزيائية مادية لذلك دعى روني طوم إلى ضرورة أن يعمل المنهج التجريبي على إدخال خاصية الخيال والتفكير، فالخيال الذهني ممثلا بالعقل الرياضي ينتج إمكانيات ذهنية لا يمكن للتجربة المادية أو أي جهاز آلي أن يعوضها، وبهذا المعنى يمكن الحديث عن منهج تجريبي معاصر ومنفتح.

خلاصة للمحور الأول:

يبني العلم التجريبي قوانينه تبعا لخطوات منهجية ونظرية، تجمع بين شروط الملاحظة العلمية، ومبادئ التجربة عندما تخضع الفروض لمبدأ التحقق التجريبي، لكن التجريب بهذا المعنى لا يشكل مقوما وحيدا في تفسير الظواهر إذ لا بد من إعتبار عنصر الخيال وإدماجه في عملية التجريب. إن الخيال هو تجربة ذهنية تمنح الواقع العلمي غنى كبير فكثير من التجارب اليوم تعتمد الصور بدل الواقع والأثر بدل الشيء، وهذا ما تؤكد عليه الفيزياء المعاصرة التي تجاوزت مبادئ وتقنية العلم الكلاسيكي.

المحور الثاني: العقلانية العلمية:

تقديم إشكالي:

إنتهينا في المحور السابق إلى أن المعرفة العلمية تتكون بانفصالها عن التجربة العادية وتتبلور بواسطة التجريب العلمي الذي يتداخل فيه البعد العقلي النظري، إلى جانب البعد التطبيقي، إن هذا التداخل هو الذي يضيف على المعرفة طابعا عقلانيا ويسمح بالحديث عن العقلانية العلمية. ويقصد بالعقلانية العلمية: وصف للمعرفة العلمية بأنها إنتاج يتأسس على بناء حقائقه انطلاقا من قواعد وعمليات عقلية. أي أن الممارسة العلمية هي عقلة للظواهر التي تشتغل عليها، إنها معرفة تنظم عالم الأشياء بالعقل وداخل علاقات منطقية ورياضية ينتجها العقل.

الإشكال المؤطر للمحور: ما طبيعة العقلانية العلمية؟ هل هي واحدة أم متعددة؟ كيف نميز بين العقلانية الكلاسيكية والعقلانية المعاصرة؟

1. موقف جون أولمو: ULMO

يرى جون أولمو في كتابه " التفكير العلمي المعاصر " إن بين عقلانيتي ديكارت وكانط شيء مشترك هو الإعتقاد في وجود مضمون واحد للعقل البدايات والطبائع البسيطة عند ديكارت ، والمقولات القبلية عند كانط... أما بالنسبة للعلم المعاصر فليس للعقل مضمون دائم، ولم يعد يعرف كمجموعة من المبادئ المطلقة، بل إنه أساسا نشاط وفعالية وحوار وجدال.

في سياق النقد الإبيستمولوجي المعاصر للمعارف وأسس المعرفة العقلانية الكلاسيكية، قام الإبيستمولوجي المعاصر في كتابه بمقاربة إشكالية المقارنة بين العقلانية الكلاسيكية والمعاصرة.

- **النزعة العقلانية الكلاسيكية:** يرى جون أولمو أن العقل الديكارتي نور فطري، يتصور نفسه جوهرًا ثابتًا، منغلقًا، نهائيًا كامل البناء، ينتج معرفته من ذاته، يحتوي أفكار فطرية ثابتة.
- **النزعة العقلانية المعاصرة:** تتميز العقلانية المعاصرة بكونها تعتبر العقل فعالية، تفكر وتنتج المعرفة إنطلاقًا من وضع فرضيات، وهي عقلانية تتعدل وتتطور باستمرار.

إن العلاقة التكاملية بين التجربة والعقل أساس بناء العقلانية العلمية المعاصرة. يقول باشلار في كتابه "العقلانية المطبقة" " لا يمكن للفيزياء المعاصرة ان تتأسس دونما الدخول في حوار فلسفي بين العلم التجريبي والعلم العقلاني... " لا وجود لعقلانية فارغة كما لا وجود لإختبارية عمياء" يقول غاستون باشلار: " لا وجود لعقل معزول عن التجربة، ولا لواقع معزول عن العقل." فالعقلانية المعاصرة عقلانية دينامية، وفعالة تقوم على أساس التجربة والعقل معا. فالعقل المعاصر قادر على بناء وتطوير ذاته ونقد معالمه، على الدوام وتصحيح أخطائه كلما تقدم العلم. فالعلم هو تاريخ تصحيح أخطائه. وبخصوص علاقة العقل بالتجربة يقول غاستون باشلار: " إن العالم الذي يجرب، لا يمكنه أن يستغني عن الإستدلال العقلي، والعالم الذي يستدل لا يمكنه أن يستغني عن التجربة."

3. موقف ألبير إينشتاين:

تقوم العقلانية مع إينشتاين على إعطاء الأولوية للعقل، ويكون التجريب له في عملية بناء المعرفة العلمية، يقول إينشتاين في كتابه " كيف أرى العالم": " إن المبدأ الخلاق في العلم الفيزيائي لا يوجد في التجربة بل في العقل الأكسيومي الحر والرياضي. الذي يتميز بالتجريد والرمزية والمنطق والإبداع والفعالية. لان تلك النظريات قابلة لأن تتعدد إلى ما لا نهاية، ومن ثمة يعد المبدأ الخلاق للنظريات العلمية.

4. موقف هانز رايشنباخ:

تعطي النزعة الوضعية التجريبية الأولوية للتجربة كمنبع للنظرية، وتجعل من مبدأ التحقق التجريبي معيارا أساسيا لصلاحية النظرية. ولا تعترف بالدور الفعال للعقل الرياضي في بناء النظرية الفيزيائية مثلا. وفي هذا السياق لا يخفي رايشنباخ معاداته لكل نزعة عقلانية في العلم متعالية عن التجربة. ويؤكد أن الأنساق العقلانية الرياضية بتعاليتها على التجربة، تكون أقرب إلى الميتافيزيقا أو التصوف الفكري منه إلى العلم التجريبي

خلاصة عامة للمحور الثاني:

بناء على ما سبق يتضح بأن المعرفة العلمية عقلانية لأنها تتكون من مفاهيم وفروض عقلية، وإستنتاجات رياضية في علاقات سببية ومبادئ وأفكار، ولكنها ليست منغلقة وإنما منفتحة على التجريب العلمي وتتكامل معه. كما أن التجارب العلمية ذاتها تقوم على تصور عقلائي تتجاوز التصور الكلاسيكي للعلم الذي يحتل فيه التجريب الدور الحاسم في قبول النظرية أو رفضها. وهكذا أعاد التصور المعاصم للعقلانية العلمية التفكير في مقاييس ومعايير علمية النظريات العلمية. وطرح إشكالية علمية النظريات العلمية، فمتى تكون نظرية ما علمية؟

المحور الثالث: معايير علمية النظريات العلمية:

إذا كانت النظرية نسق يتم بناؤه وإنشائه عقليا عن طريق الربط بين عدد من النتائج ومبدأ عام يوحدها. فما معيار صلاحيتها وصدقها؟ هل يتحدد هذا المعيار في التماسك المنطقي لبنيتها الداخلية (مطابقتها للعقل) أم يتحدد في الرجوع إلى مطابقتها للواقع التجريبي؟ أم قوة النظريات تكمن لا في تحققها التجريبي بل في قدرتها على إجتياز القابلية للتزييف أو التكذيب؟

1- أطروحة ألبير إينشتاين:

يرى إينشتاين أن التجربة لا تمثل منبع النظرية، كما لا تمثل معيار صدق نظرية علمية ما، لقد أثبتت العلوم الفيزيائية المعاصرة أن معيار صلاحية وصدق النظرية يكمن في التسلسل المنطقي الذي يربط الافتراضات بالنتائج. إذ على التجربة أن تطابق الإستنباط المنطقي السليم، وهذا يعني أن التجربة لم تعد تمثل المعيار الذي يمكن من خلاله تحديد صدق أو عدم صدق نظرية علمية ما.

2- موقف بيير دوهم:

يتم التحقق من صدق وصلاحية نظرية ما بواسطة التجربة، إنها القاعدة الضرورية لكل تطور علمي والتي ينبغي دائما الإنطلاق منها والرجوع إليها، إنها هي وحدها التي يمكنها أن تمنحنا معرفة بالوقائع الحقيقية، أما النظرية فدورها تصنيف النتائج المحصل عليها وتركيبها وتقديم صورة عقلانية عنها، وبالتالي فمعيار صلاحية نظرية ما يتحدد في إتفاقها مع التجربة ومطابقتها للواقع من خلال مقارنة مضامين الفرضيات مع القوانين التجريبية.

3- موقف كارل بوبر:

بسبب الطابع التركيبي والشامل لعدد من الفرضيات والقوانين داخل النظرية فإنه لا يمكن التحقق منها تجريبيا بصفة نهائية وكلية... والمعيار الذي يجب اعتماده لمعرفة صلاحية أو عدم صلاحية النظرية، ليس هو معيار التحقق التجريبي، بل معيار قابلية التكذيب، أي إخضاع النظرية لإختبارات منسقة ودقيقة تستهدف تكذيبها، بحيث يكون إختبار نظرية ما، تماما كإختبار جزء من آلة ميكانيكية أي محاولة تبيين العيب فيها ونقط ضعفها... ومن حيث المبدأ لا وجود لنظرية علمية تتمتع بصحة مطلقة، بل إن النظرية العلمية بقدر ما تكون تجريبية بقدر ما تكون قابلة للتفنيد أو التكذيب. وفي ذلك يقول كارل بوبر " لن أستطيع الزعم بأن نظريتي لها خاصية النظرية التجريبية، إلا إذا كنت أستطيع أن أقول كيف يمكن تفنيد نظريتي أو تكذيبها، ويقول أيضا أن نظرية معينة تعد خارج مجال العلم التجريبي عندما لا نستطيع وصف كيف يمكن أن يأتي التفنيد المحتمل لها."

المفهوم الثاني: الحقيقة

تقديم:

يتحدد الإنسان ككائن عاقل فادر على القيام بجملة من العمليات الذهنية، فهو كائن يفكر ويستدل، ويصدر احكاما، وينتج معرفة كما يتضمن هذا الحد أيضا قدرة الكائن البشري على التمييز بين الصواب والخطأ،

وبين الوهم والحقيقة، بمعنى أن المعرفة التي يسعى العقل إلى إنتاجها تنطوي في ذاتها على إلتباس الحقيقة، وطلب قيمة الصدق. فما المقصود بالحقيقة؟ وما دلالاتها في الإستعمال العامي وفي الإصطلاح اللغوي؟ وفي الدلالة الفلسفية؟

1. الدلالة المتداولية:

يدل لفظ الحقيقة في المعنى المتداول على معنيين أساسيين: الواقع والصدق. فهي بمعنى الصدق هي مطابقة القول للواقع، وهي بمعنى الواقع هي وجود الشيء فعلياً في الواقع الخارجي. وهكذا يصير الواقع هو محل الحقيقة ومرجعها، فالحقيقي هو الواقعي أو كل ما هو صادق.

2. الدلالة اللغوية:

يقول الجرجاني في كتابه "التعريفات" "الحقيقة اسم أريد له ما وضع له، وهي فعلية من حق الشيء إذا ثبت، وهي اسم للشيء المستقر في محله، وهو ما به الشيء هو هو.. أما الشيء الحق في الإصطلاح هو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد باعتبارها تشتمل على ذلك، ويقابلها الباطل والكذب."

نستنتج من تعريفات الجرجاني للحقيقة أنها مرادفة لكل ما هو ثابت مستقر ويقيني، وتقابل كل ما هو متحور ومتغير وزائل، أما على المستوى المنطقي فتترادف الحقيقة الحق والصدق، ويقابلها الباطل والكذب، إذ تصبح الحقيقة صفة للحكم المتطابق مع الواقع.

3. الدلالة الفلسفية:

يعرف أندري لالاند الحقيقة بأنها "خاصية ما هو حق وهي القضية الصادقة، وما تمت البرهنة عليه وشهادة الأ شاهد الذي يحكي ما فعله أو رآه". والحقيقة بمعنى أعم هي الواقع. وقد حدد لالاند خمس دلالات أساسية للحقيقة هي كالتالي:

➤ الحقيقة بمعنى الحق: حين يطابق الواقع الحكم وهي ضد الباطل

➤ الحقيقة بمعنى الصدق حين يطابق الحكم الواقع، وهي ضد الكذب.

➤ الحقيقة بمعنى الشيء المبرهن عليه

➤ الحقيقة بمعنى الشهادة عن فعل أو واقع

➤ الحقيقة بمعنى الواقع.

إنطلاقاً من التحديدات المفاهيمية يتضح ان مفهوم الحقيقة يبقى مفهوم إشكالي مفارقاتي يحمل تعاريف متعددة، الشيء الذي يفتحنا على التساؤلات التالية:

ما طبيعة الحقيقة؟ هل تتأسس الحقيقة على الرأي أم تشكل قطيعة معه؟ ما المعايير التي نتعرف من خلالها على الحقيقة؟ هل ننظر إلى الحقيقة كقيمة عليا مطلوبة لذاتها أم مجرد وسيلة للعمل وتحقيق المنفعة؟

المحور الأول: الحقيقة والرأي:

التأطير الإشكالي:

يعرف الرأي (doxa) بذلك الانطباع الشخصي الذي يكونه الفرد. بناء على إدراكه المباشر للأشياء أو الاعتماد على الاعتقادات السائدة لدى الناس وتختلف الآراء باختلاف الأشخاص... والآراء الشائعة لدى عامة الناس قد لا تشكل معرفة دقيقة ومؤسسة ومتماسكة..... وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية:

✓ ما هي الطرق التي تضمن بلوغ الحقيقة؟

✓ هل الحقيقة معطاة لنا في آرائنا أم يتم بناؤها بناء منهجيا منظما ضد المعرفة العامة والرأي؟

✓ وما طبيعة العلاقة بين الحقيقة والرأي؟ هل تتأسس الحقيقة على الرأي أم تشكل طبيعة معه؟

1. موقف روني ديكارت:

إن نقطة البداية عند ديكارت للبحث عن الحقيقة هي الشك، لكن ليس الشك من أجل الشك، بل الشك من أجل اليقين، أي كوسيلة لتحرير العقل من الأوهام والأحكام المسبقة التي علقته به دون أن يتناولها بالفحص والنقد، وهذا ما عبر عنه ديكارت في كتابه " تأملات ميتافيزيقية " حين قال: " لقد قررت أن أحرر نفسي جديا ولو مرة في حياتي من جميع الآراء التي آمنت بها من قبل، وأن أبدأ الأشياء من جديد. " هكذا شك ديكارت في حواسه وفي خياله وفي عقله. بل إنه ذهب بعيدا إلى إفتراض "روح خبيثة" تعمل على تضليله باستمرار، وأكثر من ذلك شك في وجوده. وهكذا يكون ديكارت قد بنى حقيقته في القطع التام مع الأحكام المسبقة والأفكار الجاهزة والآراء.

2. موقف غاستون باشلار:

يميز غاستون باشلار بين الحقيقة والرأي ويقر بتعارضهما، إذ يعتبر الرأي عائقا إبستمولوجيا يحول دون التوصل للحقيقة، والمعرفة العلمية الصحيحة، هكذا اعتبر باشلار بأن الرأي دائما على خطأ مادام أنه غير قابل للتبرير النظري العلمي، ومادام أنه مرتبط بالحاجات والمنافع المباشرة، ويعتمد على التلقائية والعفوية في تناول الأمور، وهذا ما جعل غاستون باشلار يتحدث عن قطيعة إبستمولوجية بين الحقيقة والرأي.

3. موقف ليبنيس leibnez

يقر ليبنيس بأن المعرفة الإحتمالية هي الأولى والأحق بإسم المعرفة إذ أعطى للرأي القائم على الإحتمال دورا أساسيا في تحصيل المعرفة بل يعتبره هو أول الأنماط الفكرية الذي يستحق إسم المعرفة، بل هو أساس كل المعارف. ويقر ليبنيس أن كل المعارف إحتمالية قائمة على الرأي، بل إن كوبرنيك نفسه أقام نظريته على رأي محتمل فخالف بذلك رأي باقي النوع البشري، ولهذا عبر ليبنيس عن رغبته في إقامة فن يختص بالمعرفة القائمة الإحتمال في مقابل العلوم البرهانية.

خلاصة المحور الأول:

تأسيسا على ما سبق نخلص إلى أن إشكالية العلاقة بين الحقيقة والرأي شكلت محط إهتمام وتباي في الرأي من فيلسوف إلى آخر. فإذا كان ديكارت قد شك في كل الأفكار المسبقة والآراء القبلية ويعتبرها مصدرا للمعرفة للوصول إلى الحقيقة. فإن باشلار يسير في نفس التوجه نحو القطع مع بادئ الرأي وأن

تطور المعرفة لا يكون إلا من خلال الحسم مع الأراء، وفي مقابل ذلك نجد نظرة مغايرة لدى ليبينيس والتي تقر إمكانية أن تتأسس الحقيقة على آراء وإحتمالات .

المحور الثاني معايير الحقيقة:

تقديم:

تعرفنا من خلال المحور السابق، كيف تتشكل الحقيقة سواء من خلال القطع مع الرأي والمعرفة العامية بإعتبارهما عوائق أمام الوصول إلى الحقيقة واليقين أو مع التصور الذي يقر بإمكانية تأسيس الحقيقة على الرأي . ولكن السؤال الذي يظل مطروحا كيف يمكن لنا أن نحكم على الحقائق التي ننتجها على أنها صحيحة؟ وكيف نتعرف على الحقيقة؟ وما هي المعايير التي تمكننا من التمييز بين ما هو حقيقة وما هو خطأ؟ هل بناء على الحدس والإستنباط أم على التجربة والواقع أم أن هناك معايير أخرى؟

1. موقف روني ديكارت:

يرى ديكارت أن معيار الحقيقة الوحيد والأوحد هو العقل، وذلك من خلال البداهة إذ يعتبر البداهة معيارا أساسيا لتمييز الحقيقة. ففي تحديده لخطوات المنهج جعل من القاعدة الأولى عمدة القواعد إذ طلب عدم التعجل في إصدار الأحكام، وضرورة العودة إلى الذات بل إنه جعل أدنى شك في الفكرة كافيًا لإلغائها مطلقًا. ويقول في هذا الصدد " لا أتلقى شيئًا على أنه حق ما لم أتبين بالبداهة أنه كذلك، أي تجنب التعجل في إصدار الأحكام والتشبهت بالأحكام المسبقة، ولا أدخل في أحكامي إلا ما ينثل لعقلي في وضوح وتميز ولا يكون لدي معهما أي مجال لوضعه موضع شك." وهكذا جعل فعل الشك فعلا أساسيا للفصل بين ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي، وبعبارة أخرى أصبح معيار الحقيقة هو العقل كقوة فطرية " إن الحقيقة لا يمكن أن توجد إلا في العقل وحده" ومن هنا يصبح معيار الحقيقة هو البداهة والوضوح العقليان، أي ما لم يعد يقبل الشك.

2. دافيد هيوم:

يرى زعيم التيار التجريبي دافيد هيوم أن الحواس هي معيار الحقيقة، إذ ميز بين صنفين من موضوعات العقل البشري، صنف مرتبط بعلاقة الأفكار فيما بينها ويشمل الهندسة والجبر والحساب، وهو من إختصاص الرياضيات وهذه الأفكار يمكن التأكد من صحتها دون العودة إلى التجربة. مثل قولنا: " وتر المثلث يساوي تربيع الضلعين الآخرين... وأن ثلاثة مضروبة في خمسة تساوي نصف ثلاثين." والصنف الثاني هو علاقة الأفكار بالوقائع، وهي التي تتوقف في إثبات صحتها على التجربة، مثل قولنا " الشمس ستشرق غدا " فمن أجل إثبات مثل هذه القضايا نحتاج إلى ضرورة الإحتكام إلى التجربة الحسية والشعور. وبالتالي يركز هيوم على المعيار المادي كمعيار أساسي من أجل بلوغ الحقيقة ، إذ ينفي علاقة السببية ويعتبرها مجرد إنطباع، وسيستعويض عنها بعلاقتي التجاور في المكان والتتالي في الزمان، ولا يحق للإنسان الإكتفاء بالمعيار العقلي كما إدعى ديكارت. هكذا إذن تقاس الحقيقة بمطابقتها لمبادئ العقل وتسمى الحقيقة العقلية، أو بمطابقتها للواقع وتسمى الحقيقة الواقعية.

3. أطروحة مشيل فوكو:

يرى مشيل فوكو أن السلطة معيار للحقيقة، فمفهوم السلطة عند فوكو ليس قاصرا على المؤسسات السياسية بل جملة من العلاقات الإكراهية في أبعاد التنظيم الاجتماعي، كما يرى أن الحقيقة لا تستمد قوتها من درجة حجمها، ولا من بداهتها ووضوحها، بل من الأجهزة والأطر المؤسساتية، بل جعل الحقيقة ذاتها سلطة " إن الحقيقة لا توجد خارج السلطة ولا تخلوا من السلطة...إن الحقيقة هي من هذا العالم تنتج فيه بفعل إكراهات متعددة، ولها في هذا العالم سلطة ذات تأثير منظم." ومن ثمة لا

يمكن فصل الحقيقة عن السلطة ولا السلطة عن الحقيقة، لأن الحقيقة هي نفسها سلطو وخدمة للسلطة، ولعل هذا ما فوكو يتحدث عن " الإقتصاد السياسي للسلطة " حيث تتميز المجتمعات الحديثة بخمس سمات:

- ✓ لا توجد حقيقة خارج الخطاب العلمي.
- ✓ لا توجد الحقيقة من أجل الحقيقة وإنما من أجل الإقتصاد والسياسة.
- ✓ الحقيقة لا تستر ولا تكتم بل تداع وتنشر، فهي موضوع إستهلاك.
- ✓ الحقيقة تراقب، ذلك أن الحقيقة تتحدد كإنتاج معرفي خاضع للمراقبة من طرف الأجهزة الإقتصادية والسياسية الكبرى.
- ✓ الحقيقة مدار نقاش سياسي وصراع إجتماعي.

خلاصة:

بناء على ما سبق يمكننا أن نخلص إلى أن للحقيقة معايير متعددة ومتنوعة، بحيث إذا كانت الفلسفة الكلاسيكية قد حصرت معايير الحقيقة في بعدي المعرفة المادي، والتجريبي الواقعي أو الصوري العقلاني، فإن الفلسفة المعاصرة قد أتت بتصورات جديدة ومغايرة لهذه المعايير الكلاسيكية من خلال تأكيدها على الإرتباط الوثيق فيما بين الحقيقة والسلطة، ومن هنا يتضح الطابع النسبي للحقيقة.

المحور الثالث: قيمة الحقيقة

تحديد الإطار الإشكالي:

كون الحقيقة قيمة يعني أنها هي ما يرغب فيه الإنسان، ويفضله، ويتخذه مثلا أعلى يسعى نحوه عن قصد أو بغير قصد، سواء في مستوى الفكر النظري، وفي مستوى الممارسة العملية، وفي مستوى السلوك الأخلاقي. فالحقيقة إذن قيمة فكرية، وقيمة عملية، وقيمة أخلاقية. وإذا كانت الحقيقة من حيث هي قيمة فكرية وأخلاقية قد اعتبرت في الفلسفة التقليدية غاية في ذاتها، فإنها اعتبرت في الفلسفة المعاصرة من حيث قيمة عملية وسيلة لتحقيق منفعة. إنطلاقا مما سبق نطرح التساؤل التالي:

- من أين تستمد الحقيقة قيمتها؟
- هل الحقيقة غاية في ذاتها تحمل قيمة أخلاقية أم مجرد وسيلة تحمل قيم نفعية؟

2- موقف فريديريك نتشه:

إعتبر الفيلسوف الألماني فريديريك نتشه أن الحقيقة هي جملة من الخطابات اللغوية التي تعبر عن علاقات ومصالح وأهداف يسعى الإنسان إلى تحقيقها على أرض الواقع. وتعتمد هذه الخطابات على لغة إستيعارية ومجازية لا تنقل الأشياء كما هي في حقيقتها الأصلية. بل تنقلها من منظور محدد وهذا ما يجعل تلك التصورات حول الحقيقة تعتمد سلطة الإكراه المتمثلة في المؤسسات والهيكل السياسية والدينية...ومن هنا فالحقيقة حسب نتشه مجرد أو هام منسية ذلك أن ما إعتبره الناس منذ زمن طويل أنه حقائق مطلقة ومقدسة، ليست في واقع الأمر كذلك فهي مجرد تصورات نسبية هدفها حفظ الحياة وتحقيق الهدنة الإجتماعية وبالتالي فهذه الحقائق مجرد أو هام ولا تعبر عن الواقع كما هو. بل تعبر عنه كما تريد أن تراه جه، بل إنه يطمع ت معينة من الناس، وهكذا يتضح أن الإنسان لا يريد الحقيقة من أجل ذاتها بل إنه يطمع في العواقب الممتعة والنافعة

والمترتبة عنها. يقول ننتشه " الحقائق أوهام نسي الإنسان أنها كذلك وإستعارات استعملت حتى
فقدت قوتها الحسية، وقطع نقدية فقدت بصمتها وأصبحت تعبر منذئذ معدنا لا قطع نقدية "